

(تفسير سورة المزمل عليه السلام وهي مكية)

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي حدثنا معلى بن عبد الرحمن حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا سموا هذا الرجل اسما يصد الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون ، قالوا ساحر قالوا ليس بساحر ، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه وتدثر فيها . فأتاه جبريل عليه السلام فقال (يا أيها المزمل) (يا أيها المدثر) ثم قال البزار : معلى بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نَفْثَهُ أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾

يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل وهو التغطى في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) وكذلك كان صلى الله عليه وسلم ممثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده كما قال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى (يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا) قال ابن عباس والضحاك والسدي (يا أيها المزمل) يعنى يا أيها النائم . وقال قتادة : المزمل في ثيابه . وقال إبراهيم النخعي : نزلت وهو متزمل بقطيفة ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يا أيها المزمل) قال يا محمد زملت القرآن . وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل (أو انقص منه قليلا * أو زد عليه) أى أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك . وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) أى اقرأه على تمهل فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره . وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة رضى الله عنها كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها . وفي صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) بمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وقال ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة رضى الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت كان يقطع قراءة آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) رواه أحمد وأبو داود والترمذى . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن ذر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « يقال لقارئ القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث سفيان الثورى به وقال الترمذى : حسن صحيح وقد قمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » و« ليس منا من لم يتغن بالقرآن » و« لقد أوتى هذا زمزما من مزامير آل داود » يعنى أبا موسى فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتى لحبته لك تحميراء ، وعن ابن مسعود أنه قال لا تنثروه شر الرمل ولا تنهذوه هذ الشعر فقوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . رواه البغوى وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت للفصل الليلة في ركعة . فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقرن بينهما فذكر عشرين سورة من الفصل سورتين في ركعة وقوله تعالى (إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً)
قال الحسن وقتادة أى العمل به وقيل ثقل وقت نزوله من عظمته كما قال زيد بن ثابت رضى الله عنه أنزل على رسول الله
ﷺ وفخذه على فخذي فكادت ترض فخذي

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو
قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هل تحس بالوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« أسمع صلاصلا ثم أسكت عند ذلك فإني مرة يوحى إلى الإظننت أن نفسى تقبض » تفرد به أحمد . وفي أول صحيح البخارى
عن عبد الله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ
كيف يأتيك الوحى ؟ فقال « أحيانا يأتى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيصم عنى وقد وعيت
عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعنى مايقول » قالت عائشة ولقد رأيت نزل عليه الوحى صلى الله
عليه وسلم فى اليوم الشديد البرد فيصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا هذا لفظه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود
أخبرنا عبد الرحمن بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن كان ليوحى إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأطلى حدثنا ابن ثور عن معمر بن هشام
ابن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فاستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه
وهذا مرسل ، الجران هو باطن العنق ، واختار ابن جرير أنه ثقل من الوجبين معا كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
كما ثقل فى الدنيا ثقل يوم القيامة فى الموازين

وقوله تعالى (إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قبلا) قال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : نشأ ، قام
بالحشية ، وقال عمر وابن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة ، وكذا قال مجاهد وغير واحد ، يقال نشأ إذا قام من الليل
وفى رواية عن مجاهد بعد العشاء ، وكذا قال أبو مجاز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن النكدر والنعرض أن ناشئة
الليل هى ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهى الآنات ، والقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب
واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى (هى أشد وطأ وأقوم قبلا) أى أجمع للخاطر فى أداء القراءة وتفهمها من
قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولنطق الأصوات وأوقات المعاش . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا إبراهيم
ابن سعيد الجوهري حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية (إن ناشئة الليل هى أشد وطأ
وأقوم قبلا) فقال له رجل إنما تقرأها وأقوم وأهيا وأشباه هذا واحد . ولهذا
قال تعالى (إن لك فى النهار سبحا طويلا) قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي مسلم : الفراغ والنوم ، وقال أبو العالية
ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثوري : فراغا طويلا . وقال قتادة فراغا
وبنية ومتقلبا . وقال السدى (سبحا طويلا) تطوعا كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى (إن لك
فى النهار سبحا طويلا) قال لحوأبجك فأفرغ لدينك الليل قال وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم إن الله تبارك وتعالى
من على عباده فخففها ووضعها وقرأ (قم الليل إلا قليلا) إلى آخر الآية ثم قرأ (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من
ثلثي الليل ونصفه - حتى بلغ - فاقروا ما تيسر منه) وقال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا) وهذا الذى قاله كما قاله .

والدليل عليه ما رواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا يحيى حدثنا سعيد هو ابن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة
ابن أوفى عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارا له بها ويجعله فى الكراع والسلاح ثم
يجاهد الروم حتى يموت ، فلقى رهطا من قومه فحدثوه أن رهطا من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ
فقال « أليس لكم فى أسوة حسنة ؟ » فنهام عن ذلك فأشهدهم على رجعتها ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن
عباس فسأله عن الوتر فقال ألا أنبتك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ قال : نعم ، قال ائت عائشة

فسلها ثم ارجع إلى فأخبرني بردها عليك قال فأنتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقتة إليها فقال ما أنا بقارها إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئا فأبت فيهما إلا مضيأ ، فأقسمت عليه فجاء معي فدخلنا عليها فقالت: حكيم وعرفته قال نعم قالت من هذا الذي معك؟ قال سعيد بن هشام قالت من هشام؟ قال ابن عامر قال فترحمت عليه وقالت نعم المرء كان عامرا قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت أأست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن فهممت أن أقوم ثم بدالى قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أأست تقرأ هذه السورة (يا أيها الزمّل؟) قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها في السماء اثني عشر شهرا ثم أنزل الله التحفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا من بعد فريضة . فهممت أن أقوم ثم بدالى وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ قالت كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ثم يتوصأ ثم يصلى ثمان ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة ، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم ، ثم يقوم ليصلى التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعو ثم يسلم تسليما يسمعا ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فلكل احدى عشرة ركعة يابى ، فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فلكل تسع يابى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ولا أعلم نبى الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح ولا صام شهرا كاملا غير رمضان . فأنتيت ابن عباس فحدثته بحديثها فقال صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأنتيتها حتى تشافهني مشافهة هكذا رواه الامام أحمد بتامه وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بنحوه

(طريق أخرى عن عائشة رضی الله عنها في هذا المعنى) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثنا مهران قال جميعا واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة حدثني محمد بن طحلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضی الله عنها قالت : كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا يصلى عليه من الليل فتسمع الناس به فاجتمعوا فخرجوا كالمغضب وكان بهم رحيا فخشى أن يكتب عليهم قيام الليل فقال « أيها الناس اكفوا من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يعل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه » ونزل القرآن (يا أيها الزمّل قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه) حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك ثمانية أشهر قرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردمهم إلى الفريضة وترك قيام الليل . ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قديمهم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وإنما هي مكة وقوله في هذا السياق إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سماك الحنفي سمعت ابن عباس يقول : أول منزل أول الزمّل كانوا يقومون نحو من قيامهم في شهر رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة به وقال الثوري ومحمد بن بشر العبدي كلاهما عن مسعر عن سماك عن ابن عباس كان بينهما سنة ، وروى ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبي عبد الرحمن قال لما نزلت (يا أيها الزمّل) قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت (فاقروا ما تيسر منه) قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصرى والسدى . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا معاذ بن هشام

حدثنا أبي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال : قلت يعني لعائشة أخبرينا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أألمت تقرأ (يا أيها الزملي) ؟ قلت بلى قالت فإنها كانت قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهرا ثم نزل ، وقال معمر عن قتادة (قم الليل إلا قليلا) قاموا حولا أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد هو ابن جبير قال لما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم (يا أيها الزملي) قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك - إلى قوله تعالى - وأقيموا الصلاة) فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن رافع عن يعقوب القمي به ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا) فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - إلى قوله تعالى - فاقراءوا ما تيسر منه) فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق ، وقوله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) أي أكثر من ذكره واقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك كما قال تعالى (فإذا فرغت فانصب) أي إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته وعبادته لتسكون فارغ البال قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه ، قال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي (وتبتل إليه تبتيلا) أي أخلص له العبادة ، وقال الحسن : اجتهد وأبذل إليه نفسك وقال ابن جرير يقال للعابد متبتل ومنه الحديث للروى نهى عن التبتل يعني الانقطاع إلى العبادة وترك الزواج . وقوله تعالى (رب للشرق والغرب لا إله إلا هو فاتخذوه كيدا) أي هو المالك للتصرف في المشرق والمغرب الذي لا إله إلا هو ، وكما أفردته بالعبادة فأفردته بالتوكل فاتخذوه كيدا كما قال تعالى في الآية الأخرى (فاعبده وتوكل عليه) وكقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الأمر بفراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْلُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ وَمَهْلِكُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَجِيًّا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا * إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَصَوَّىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيًّا * فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا * السَّمَاءُ مَنفُطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾

يقول تعالى أمرا رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه وأن يهجرهم هجرا جميلا وهو الذي لا عتاب معه ثم قال له متهددا لكفار قومه ومتوعدا وهو العظيم الذي لا يقوم لقبضه شيء (وذرنى والمكذبين أولى النعمة) أي دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فانهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم (ومهلهم قليلا) أي رويدا كما قال تعالى (فتهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) ولهذا قال ههنا (إن لدينا أنكالا) وهي القيود قاله ابن عباس وعكرمة وطاوس وعبد بن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجوني وأبو عجان والضحاك وحامد بن أبي سلمان وقاتدة والسدي وابن البار للثورى وغير واحد (وججيا) وهي السعير المضطربة (وطعاما ذا غصة) قال ابن عباس ينسب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج (وعذابا أليما) يوم ترجف الأرض والجبال (أي تزلزل) وكانت الجبال كشيئا مهيلا) أي تصير ككثبان الرمل بمد ما كانت حجارة صماء ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء

إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعا منصفها لا ترى فيها عوجا أى واديا ولا أمنا أى رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش والمراد سائر الناس (إن أرسلنا إليك رسولا شاهدا عليكم) أى بأعمالكم (كأرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذنا ويلا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى والثورى (أخذنا ويلا) أى شديدا أى فاحذروا أتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى (فأخذنا الله نكال الآخرة والأولى) وأتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ويروى عن ابن عباس ومجاهد، وقوله تعالى (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) يحتمل أن يكون يوما معمولاً لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به؟ ويحتمل أن يكون معمولاً لكفرتم فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم، وعلى الثانى كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجدتموه، وكلاهما معنى حسن ولكن الأول أولى والله أعلم، ومعنى قوله (يوما يجعل الولدان شيبا) أى من شدة أهواله وزلازله وبلاجه وذلك حين يقول الله تعالى لآدم ابث ابث النار فيقول من كم؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة. قال الطبراني حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عثمان بن عطاء الحراساني عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ (يوما يجعل الولدان شيبا) قال « ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابث من ذريتك بئنا إلى النار، قال من كم يارب؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد » فاشد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم « إن بنى آدم كثير، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم وإنه لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل فقيهم وفي أشباههم جنة لكم » هذا حديث غريب وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث. وقوله تعالى (السماء منفطر به) قال الحسن وقتادة أى بسببه من شدته وهوله، ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى، وروى عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوى لأنه لم يجره لذكر ههنا، وقوله تعالى (كان وعده مفعولا) أى كان وعد هذا اليوم مفعولا أى واقعا لا محالة وكائنا لا محيد عنه

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن نُّمْلِ الْبَيْتِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ يَدْعُونَ أَنفُسَهُمْ إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ فَلْيَذَرُوا حَتَّىٰ يَأْمُرَ اللَّهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَتَذَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى (إن هذه) أى السورة (تذكرة) أى يتذكر بها أولو الألباب ولهذا قال تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أى ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيده في السورة الأخرى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليا حكيا) ثم قال تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) أى تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منك ولكن لا تقدر على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولهذا قال (والله يقدر الليل والنهار) أى تارة يتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا (علم أن لن نحصوه) أى الفرض الذى أوجبه عليكم (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) أى من غير تحديد بوقت أى ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما

قال في سورة سبحان (ولا تجهر بصلاتك) أى بقرائك (ولا تخافت بها) وقد استدلل أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله
بهذه الآية وهى قوله (فاقراءوا ما تيسر من القرآن) على أنه لا يجب تعيين قراءة الفاتحة فى الصلاة بل لو قرأ بها أو غيرها
من القرآن ولو بأية أجزاء واعتضدوا بحديث السىء صلاته الذى فى الصحيحين « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن »
وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو فى الصحيحين أيضا أن رسول الله ﷺ قال « لا صلاة
لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كل صلاة لا يقرأ
فيها بأمر القرآن فهى خداج فهى خداج غير تمام » وفى صحيح ابن خزيمة عن أبى هريرة مرفوعا
« لا تجزىء صلاة من لم يقرأ بأمر القرآن » . وقوله تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض
يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) أى علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار فى ترك قيام الليل من
مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين فى الأرض يبتغون من فضل الله فى السكاب والتاجر وآخرين مشغولين بما هو
الأهم فى حقهم من الغزو فى سبيل الله ، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهى من أكبر دلائل
النبوته لأنه من باب الاخبار بالمعيات المستقبلية ولهذا قال تعالى (فاقراءوا ما تيسر منه) أى قوموا بما تيسر عليكم .
قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن أبى رجاء محمد قال قلت للحسن يا أبا سعيد ما تقول فى رجل قد استظهر
القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به وإنما يصلى المكتوبة قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك ، قال الله تعالى للعبد الصالح
(وإنه لودو علم لما علمناه) (وعلمتم ما لم تعلموا أتم ولا أبأؤكم) قلت يا أبا سعيد قال الله تعالى (فاقراءوا ما تيسر من القرآن)
قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصرى أنه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن أن يقوموا
ولو بشيء منه فى الليل ولهذا جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال
« ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه » فقيل معناه نام عن المكتوبة ، وقيل عن قيام الليل : وفى السنن « أوتروا بأهل
القرآن » وفى الحديث الآخر « من لم يوتر فليس منا » وأغرب من هذا ما حكى عن أبى بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من
إيجابه قيام شهر رمضان لله أعلم . وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن سعيد فرقد الحدرد حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف
الزبيدى حدثنا عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس عن أبيه عن طاوس عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم (فاقراءوا ما تيسر منه) قال « مائة آية » وهذا حديث غريب جدا لم أره إلا فى معجم الطبرانى رحمه
الله تعالى : وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة ،
وهذا يدل لمن قال أن فرض الزكاة نزل بكلمة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالدينه والله أعلم ، وقد قال
ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتاده وغير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت الذى كان الله قد أوجبه على
المسلمين أولا من قيام الليل ، واختلفوا فى المدة التى بينهما على أقوال كما تقدم ، وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل « خمس صلوات فى اليوم والليلة » قال هل على غيرها ؟ قال « لا إلا أن تطوع »
وقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يعنى من الصدقات فإن الله يجازى على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى
(من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) وقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه
عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) أى جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما يبتغوه لأنفسكم فى الدنيا
وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد قال : قال
عبد الله : قال رسول الله ﷺ « أياكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه
من مال وارثه قال « اعلموا ما تقولون » قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله ؟ قال « إنما مال أحدكم ما قدم وما لوارثه
ما آخر » ورواه البخارى من حديث حص بن غياث والنسائى من طريق أبى معاوية كلاهما عن الأعمش به ، ثم
قال تعالى (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) أى أكثروا من ذكره واستغفروا فى أموركم كلها فإنه غفور رحيم
لمن استغفره . آخر تفسير سورة اللزمل والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة المدثر وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنَ اسْتَكْبَرُ *
وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ * فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ)

ثبت في صحيح البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شيء نزل من القرآن (يا أيها المدثر) وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) كما سيأتي ذلك هنالك إن شاء الله تعالى . قال البخاري حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال (يا أيها المدثر) قلت يقولون (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لي فقال جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال « جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأتميت خديجة فقلت دثروني وصبوا على ماء بارداً - قال - قد ثروني وصبوا على ماء بارداً - قال - فنزلت (يا أيها المدثر . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكْبِرْ) « هكذا ساقه من هذا الوجه . وقد رواه مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه « بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسی بين السماء والأرض فجثت منه حتى هويت إلى الأرض فجثت إلى أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فأنزل (يا أيها المدثر . قُمْ فَأَنْذِرْ - إلى - فاهجر) - قال أبو سلمة والرجز الأوثان - ثم حمى الوحي وتابع « هذا لفظ البخاري ، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله « فإذا الملك الذي كان بحراء » وهو جبريل حين أتاه بقوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة كما قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ثم فتر الوحي عن فترة بيننا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل الملك الذي جاءني قاعد على كرسی بين السماء والأرض فجثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض فجثت أهلي فقلت لهم زملوني زملوني فزملوني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) ثم حمى الوحي وتابع « خرجاه من حديث الزهري به . وقال الطبراني حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار حدثنا الحسن بن بشر البجلي حدثنا الماعني بن عمران عن إبراهيم بن يزيد سمعت ابن أبي مليكة يقول سمعت ابن عباس يقول إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا منه قال ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم ليس بساحر ، وقال بعضهم كاهن ، وقال بعضهم ليس بكاهن ، وقال بعضهم شاعر ، وقال بعضهم ليس بشاعر ، وقال بعضهم بل سحر يؤثر فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي ﷺ فعزّن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكْبِرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلَا تَمْنُنَ اسْتَكْبَرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) وقوله تعالى (قُمْ فَأَنْذِرْ) أي فمر عن ساق العزم وأنذر الناس وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة (وربك فكبر) أي عظم وقوله تعالى (وثيابك فطهر) قال الأحمس الكندي عن عكرمة عن ابن عباس أنه أتاه رجل فسأله عن هذه

الآية (وثيابك فطهر) قال لا تلبسها على معصية ولا على غدره ثم قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي :
فاني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره أمتنع

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال في كلام العرب نقي الثياب وفي رواية بهذا الإسناد فطهر من الذنوب ، وكذا قال إبراهيم والشعبي وعطاء ، وقال الثوري عن رجل عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال من الأثم ، وكذا قال إبراهيم النخعي وقال مجاهد (وثيابك فطهر) قال نفسك ليس ثيابه ، وفي رواية عنه (وثيابك فطهر) أي عمالك فأصلح ، وكذا قال أبو رزين وقال في رواية أخرى (وثيابك فطهر) أي لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا ، وقال قتادة (وثيابك فطهر) أي طهرها من المعاصي وكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يف بعهده الله إنه لندس الثياب وإذا وفي وأصلح إنه لمطهر الثياب ، وقال عكرمة والضحاك لا تلبسها على معصية . وقال الشاعر :

إذا المرء لم يدنس من الأثم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وقال العوفي عن ابن عباس (وثيابك فطهر) يعني لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب ويقال لا تلبس ثيابك على معصية ، وقال محمد بن سيرين (وثيابك فطهر) أي اغسلها بالماء ، وقال ابن زيد كان للشركون لا يطهرون فأمره الله أن يطهروا وأن يطهروا ثيابه وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فان العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس :

أفأظم مهلا بعض هذا التذلل وإن كنت قد أزمعت هجري فأجلى

وإن تك قد ساءت مني خليفة فلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال سعيد بن جبير (وثيابك فطهر) وقلبك ونيتك فطهر ، وقال محمد بن كعب القرظي والحسن البصري : وخلقك فحسن ، وقوله تعالى (والرجز فاهجر) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والرجز وهو الأصنام فاهجر وكذا قال مجاهد وعكرمة وقاتدة والزهرى وابن زيد : إنها الأوثان ، وقال إبراهيم والضحاك (والرجز فاهجر) أي اترك المعصية ، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) . وقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال ابن عباس لا تعط العطية تلتمس أكثر منها وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الأحوص وإبراهيم النخعي والضحاك وقاتدة والسدي وغيرهم وروى عن ابن مسعود أنه قرأ (ولا تمنن أن تستكثر) وقال الحسن البصري : لا تمنن بحملك على ربك تستكثره وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير ، وقال خفيف عن مجاهد في قوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال لا تضعف أن تستكثر من الخير قال تمنن في كلام العرب تضعف ، وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا . فهذه أربعة أقوال والأظهر القول الأول والله أعلم وقوله تعالى (ولربك فاصبر) أي اجعل صبرك على أداء لوجه ربك عز وجل قاله مجاهد . وقال إبراهيم النخعي اصبر عطيتك لله عز وجل . وقوله تعالى (فاذا قر في الناظر فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقاتدة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد (الناظر) الصور قال مجاهد وهو كهيئة القرن . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أسباط بن محمد عن مطرف عن عطية العوفي عن ابن عباس (فاذا قر في الناظر) فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفتح ؟ » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط به ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به ، ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به .
وقوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) أي شديد (على الكافرين غير يسير) أي غير سهل عليهم كما قال تعالى (يقول

الكافرون هذا يوم عسر) ، وقدرونا عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى (فاذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) شق شقاً ثم خرميتا رحمته الله تعالى

(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَبَّأ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَكَانَ إِذَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُنْبِقِي وَلَا تَنْذُرِي * لَوْ آحَاةَ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ)

يقول تعالى متوعدا لهذا الحبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا) أي خرج من بطن أمه وحده لآماله ولا ولد ثم رزقه الله تعالى (مالا ممدودا) أي واسعاً كثيراً قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضاً يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له (بنين شهودا) قال مجاهد لا يسيبون أي حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليتهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم يعودون عندهم يتمتع بهم ويتملى بهم ، وكانوا فيما ذكره السدي وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا أبلغ في النعمة وهو إقامتهم عنده (ومهدت له تمهيدا) أي مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك (ثم يطمع أن أزيد * كلاً إنه كان لآياتنا عنيداً) أي معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم ، قال الله تعالى (سأرهقه صعوداً) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوى به كذلك فيه أبداً » وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج كذا قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونسكاره . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وطى بن عبد الرحمن المعروف ببلان المقرئ قال حدثنا منجاب أخبرنا شريك عن عمار الدهني عن عطية العوفي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم (سأرهقه صعوداً) قال « هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعد فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت » ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعوداً صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدي صعوداً صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدا وقال مجاهد (سأرهقه صعوداً) أي مشقة من العذاب وقال قتادة عذاباً لراحة فيه واختاره ابن جرير . وقوله تعالى (إنه فكر وقدر) أي إنما أهرقناه صعوداً أي قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر أي تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن فكفر ماذا يخلق من القال (وقدر) أي تروى (فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر) دعاء عليه (ثم نظر) أي أعاد النظر والتروى (ثم عبس) أي قبض بين عينيه وقطب (وبسر) أي كلع وكره ومنه قول توبة بن حمير :

وقد رابني منها صدود رأيتہ وإعراضها عن حاجتي وبسورها

وقوله (ثم أدبر واستكبر) أي صرف عن الحق ورجع القهقري مستكبراً عن الانقياد للقرآن (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم ولهذا قال (إن هذا إلا قول البشر) أي ليس بكلام الله وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قریش لئنه الله وكان من خبره في هذا ما رواه

العوفي عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج طي قريش فقال يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش اتسمروا وقالوا والله لئن صبا الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال أنا والله أكنيفكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال أأستأكثرهم مالا وولدا فقال له أبو جهل يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أفقد تحدث به عشيرتي ا فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (ذرني ومن خلقت وحيدا - إلى قوله - لا تبقي ولا تذر) وقال قتادة : زعموا أنه قال والله لقد نظرت فيها قال الرجل فإذا هو ليس بشعر وإن له لخلوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلم وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله (فقتل كيف قدر) الآية (ثم عبس وبسر) قبض ما بين عينيه وكلع ، وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأطلي حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رقله فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال لم ، قال يعطونك فانك أتيت محمداً تعرض لما قبله ، قال قد علمت قريش أني أكثرها مالا ، قال قتل فيه قولا يعلم قومك أنك منكر لما قال وانك كارمه ، قال فإذا أقول فيه ، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذي يقوله لخلوة ، وإنه ليحطم ماتحته وإنه ليعلم وما يعلى ، وقال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال فدعني حتى أتفكر فيه ، فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره فنزلت (ذرني ومن خلقت وحيدا - حتى بلغ - تسعة عشر) وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوه من هذا ، وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج لصدومهم عنه فقال قائلون شاعر وقال آخرون ساحر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، قال الله تعالى (سأصليه سقر) أي سأعظمه فيها من جميع جهاته ، ثم قال تعالى (وما أدراك ما سقر) وهذا تهويل لأمرها وتضخيم ، ثم فسر ذلك بقوله تعالى (لا تبقي ولا تذر) أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يعوتون ولا يحيون ، قاله ابن بريده وأبو سنان وغيرها

وقوله تعالى (لواحة للبشر) قال مجاهد أي للجلد ، وقال أبو رزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل ، وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها . وقال قتادة (لواحة للبشر) أي حراقة للجلد وقال ابن عباس : تحرق بشرة الانسان . وقوله تعالى (عليها تسعة عشر) أي من مقدمي الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني حارث عن عامر عن البراء في قوله تعالى (عليها تسعة عشر) قال إن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء رجل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ (عليها تسعة عشر) فأخبر أصحابه وقال « ادعهم أما إنني سألتهم عن تربة الجنة إن أتوني ، أما إنها درمكة بيضاء » فجاءوه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية ثم قال « أخبروني عن تربة الجنة » فقالوا أخبرهم يا ابن سلام فقال كأنها خبزة بيضاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما إن الخبز إنما يكون من الدرملك » هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء والمشهور عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبو بكر البرزاري في مسنده حدثنا أحمد بن عبيدة أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم حدثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد : غلب أصحابك اليوم فقال « بأي شيء »

قال سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا لانعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفتلب قوم يستلون عما لا يعلمون فقالوا لانعلم حتى نسأل نبينا ﷺ ؟ على بأعداء الله لكنهم قدسألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة » فأرسل اليهم فدعاهم قالوا يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال « هكذا » وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لأصحابه « إن سئلتهم عن تربة الجنة فهي الدرملك » فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله ﷺ « ماتربة الجنة » فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا خبزة يا أبا القاسم فقال « الخبز من الدرملك » وهكذا رواه الترمذى عند هذه الآية عن ابن أبي عمير عن شيان به وقال هو والبخار لا يعرف إلا من حديث جبال وقد رواه الامام أحمد عن علي بن المديني عن سفيان بن عيينة بنقصه الدرملك فقط

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ * كَلَّا وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَتَفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾

يقول تعالى (وما جعلنا أصحاب النار) أى خزاتها (إلا ملائكة) أى زبانية غلاظا شدادا ؛ وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل يامعشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم ، فقال الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أى شديدي الخلق لا يقامون ولا يغالبون ، وقد قيل إن أبا الأشدين واسمه كلدة بن أسيد بن خلف قال يامعشر قريش ا كفوني منهم اثنين وأنا أ كفيكم منهم سبعة عشر إعجابا منه نفسه ، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه ، قال السهيلي وهو الذى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصارحته وقال ان صرعتى آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن ، قال وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن الطلب (فلت) ولا منافاة بين ما ذكره والله أعلم ، وقوله تعالى (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أى إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارا مثلا للناس (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى يعلمون أن هذا الرسول حق فانه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله ، وقوله تعالى (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) أى إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق اخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى من المنافقين (والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى يقولون ما الحكمة فى ذكر هذا ههنا ؟ قال الله تعالى (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أى من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان فى قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، وقوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أى ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى لثلاثيهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايهم من اللتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التى اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فافهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بأخرها وهو قوله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقد ثبت فى حديث الاسراء المروى فى الصحيحين وغيرها عن رسول الله ﷺ أنه قال فى صفة البيت المعمور الذى فى السماء السابعة « فاذا هو

يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم »

وقال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إني أرى ملا ترون وأسمع مالا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تظ ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علم لضحككم قليلا ولبكيتم كثيرا ولا تلذتم بالنساء على الفراشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى » فقال أبو ذر والله لوددت أني شجرة تعضد ، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث إسرائيل وقال الترمذي حديث حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا حسين بن عرفة المصري حدثنا عروة بن مروان الرقي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئا . » وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا عمرو بن زرارة أخبرنا عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينا رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله ﷺ « أسمع أطيح السماء وما تلام أن تظ . ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد »

وقال أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاد حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي سمعت الضحاک بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الأجدع عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) » وهذا مرفوع غريب جدا ثم رواه عن محمد بن آدم عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال : إن من السموات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماء قائم ثم قرأ (وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون)

ثم قال حدثنا أحمد بن سيار حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه حدثنا الغيرة بن عمر بن عطية من بني عمرو بن عوف حدثني سليمان بن أيوب عن سالم بن عوف حدثني عطاء بن زيد بن مسعود من بني الحلبى حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع من بني سالم حدثني عبدالرحمن بن العلاء من بني ساعدة عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبي ﷺ قال يوما جلسائه « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا وما تسمع يا رسول الله ؟ قال « أظت السماء وحق لها أن تظ إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد وقالت الملائكة (وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) » وهذا إسناد غريب جدا

ثم قال حدثنا إسحق بن محمد بن إسماعيل الفروي حدثنا عبد الملك بن قدامة عن عبدالرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم أبو جحش الليثي فقال قوموا فصلوا مع رسول الله ﷺ فقام اثنان وأبي أبو جحش أن يقوم وقال لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين وأشد مني بطشا فيصرعني ثم يمس وجهي في التراب قال عمر فصرعته ودست وجهه في التراب فأنى عثمان بن عفان فحجزني عنه فخرج عمر مغضبا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما رأيتك يا أبا حفص ؟ » فذكر له ما كان منه فقال رسول الله ﷺ « إن رضى عمر رحمة ، والله على ذلك لوددت أنك جثني برأس الحيت » فقام عمر فوجه نحوه فلما أبعد ناداه فقال « اجلس حتى أخبرك ببناء الرب تبارك وتعالى عن صلاة أبي جحش إن الله تعالى في السماء الدنيا ملائكة خشوع لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت رفعوا رؤوسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك ، وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجود لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم وقالوا سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادك » فقال له عمر وما يقولون يا رسول الله ؟ فقال

« أما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذى الملك والملكوت ، وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذى العزة والجبروت ، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحى الذى لا يموت ، قتلها يعمر فى صلاتك » قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكيف بالذى كنت علمتى وأمرتنى أن أقوله فى صلاتى؟ فقال « قل هذا مرة وهذا مرة » وكان الذى أمره به أن يقوله « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك حل وجهك » هذا حديث غريب جدا بل منكر نكارة شديدة ، وإسحق الفروى روى عنه البخارى ، وذكره ابن حبان فى الثقات وضعفه أبو داود والنسائى والعقلى والدارقطنى ، وقال أبو حاتم الرازى كان صدوقا إلا أنه ذهب بصره فرمى بالحقن وكتبه صحيحة ، وقال مرة هو مضطرب وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحى تكلم فيه أيضا ، والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عرف بحاله ، ولا تعرض لضعف بعض رجاله غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسل بنحوه ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسل قرييانه ثم قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الله بن قهذاذ أخبرنا النضر أخبرنا عباد بن منصور قال سمعت عدى بن أرطاة وهو يخطب على منبر المدائن قال سمعت رجلا من أصحاب النبى ﷺ قال « إن الله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفة ما منهم ملك تقطر منه دمة من عينه إلا وقعت على ملك يصلى وإن منهم ملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وإن منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » وهذا إسناد لا بأس به

وقوله تعالى (وما هى إلا ذكري للبشر) قال مجاهد وغير واحد (وما هى) أى النار التى وصفت (إلا ذكري للبشر) ثم قال تعالى (كلا والقمر * والليل إذ أدبر) أى ولى (والصبح إذا أسفر) أى أشرق (إنها لإحدى الكبر) أى العظام يعنى النار ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف (نذيرا للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أى لمن شاء أن يقبل الندارة ويهتدى للحق أو يتأخر عنها ويولى ويردها

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَنْجَبَ الْيَمِينِ * فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نَطْعُ الْمَسْكِينِ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ أَهْلِ الْفِتَنِ * وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ * كَانَهُمْ حُرٌّ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صِحْفًا مِّنْ نَّشْرَةٍ * كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ إِلَّا خِرَةَ * كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ * وَمَا يَذْكَرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ * هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾

يقول تعالى مخبرا أن (كل نفس بما كسبت رهينة) أى معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره (إلا أصحاب اليمين) فأنهم (فى جنات يتساءلون عن المجرمين) أى يسألون المجرمين وهم فى العرفات وأولئك فى الدركات قائلين لهم (ما سلككم فى سقر * قالوا لم نك من الصلّين ولم نك نطعم المسكين) أى ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا (وكنا نخوض مع الخائضين) أى تكلم فيما لا نعلم : وقال قتادة : كلما غوى غاوغونا معه (وكنا نكذب بيوم الدين حتى آتانا اليقين) يعنى الموت كقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقال رسول الله ﷺ « أما هو — يعنى عثمان بن مظعون — فقد جاءه اليقين من ربه » قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى من كان

بحديث نفسي ، وإن الفاجر يمضى قدما قدما ما يعاتب نفسه ، وقال جويبر بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله (ولا أقسم
بالنفس اللوامة) قال ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي
حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم عن إسرائيل عن سماك أنه سأل عكرمة عن قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال يلوم
على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا ، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل به وقال ابن جرير حدثنا
محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله (ولا أقسم
بالنفس اللوامة) قال تلوم على الخير والشر ، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال هي
النفس اللثوم ، وقال علي بن أبي نجيح عن مجاهد تندم على ما فات وتلوم عليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس:
اللوامة المذمومة ، وقال قتادة (اللوامة) الفاجرة . قال ابن جرير وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى والأشبه بظاهر التنزيل
أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات

وقوله تعالى (أيعسب الإنسان أن لن نجعل عظامه ؟) أي يوم القيامة أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها
من أما كتبها المتفرقة (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) قال سعيد بن جبير والعوفي عن ابن عباس أن نجعله خفأً وحافراً
وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير ووجه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا
والظاهر من الآية أن قوله تعالى (قادرين) حال من قوله تعالى (نجعل) أي أيظن الإنسان أن لا نجعل عظامه ؟ بلى سنجمعها
قادرين على أن نسوي بنانه أي قدرتنا سالحة لجمعها ولو شئنا لبشناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه
مستوية وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج ، وقوله (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني يمضى
قدما ، وقال العوفي عن ابن عباس (ليفجر أمامه) يعني الأمل يقول الإنسان أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال هو
الكفر بالحق بين يدي القيامة . وقال مجاهد (ليفجر أمامه) ليضي أمامه كبرأسه ، وقال الحسن لا يلقى ابن آدم إلا تنزع
نفسه إلى معصية الله قدما قدما إلا من عصمه الله تعالى ، وروى عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير
واحد من السلف هو الذي يجعل الذنوب ويسوف التوبة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو الكافر يكذب
يوم الحساب ، وكذا قال ابن زيد وهذا هو الأظهر من المراد ولهذا قال بعده (يسأل أيان يوم القيامة ؟) أي يقول متى
يكون يوم القيامة وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد
إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) . وقال تعالى ههنا (فإذا برق
البصر) قرأ أبو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أي حار وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم) أي بل
ينظرون من النزع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب ، وقرأ آخرون برق بالفتح وهو قريب
في المعنى من الأول : والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتدل من شدة الأهوال ومن عظم
ما تشاهده يوم القيامة من الأمور . وقوله تعالى (وخسف القمر) أي ذهب ضوءه (وجمع الشمس والقمر) قال مجاهد
كورا ، وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت) وروى عن ابن مسعود أنه قرأ
(وجمع بين الشمس والقمر) . وقوله تعالى (يقول الإنسان يومئذ أين المفر) أي إذا عين ابن آدم هذه الأهوال
يوم القيامة حيثئذ يريد أن يفرو يقول أين المفر أي هل من ملجأ أو موئل قال الله تعالى (كلا لا وزر إلى ربك يومئذ
المستقر) قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف أي لأنجاة وهذه الآية كقوله تعالى (مالك
من ملجأ يومئذ وما لك من نكير) أي ليس لكم مكان تتسكرون فيه ، وكذا قال ههنا (لا وزر) أي ليس لكم
مكان تمتصون فيه ولهذا قال (إلى ربك يومئذ المستقر) أي المرجع والصدور . ثم قال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ
بما قدم وأخر) أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها كما قال تعالى (ووجدوا
ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) وهكذا قال ههنا (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) أي هو شهيد
على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) . وقال علي

ابن أبي طلحة عن ابن عباس (بل الإنسان على نفسه بصيرة) يقول سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه . وقال قتادة ناهد على نفسه . وفي رواية قال إذا شئت والله رأيته بصيرا جيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه : وكان يقال إن في الأنجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القنطرة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لاتبصره !
وقال مجاهد (ولو ألقى معاذيره) ولو جادل عنها فهو بصير عليها . وقال قتادة (ولو ألقى معاذيره) ولو اعتذر يومئذ يبطل لا يقبل منه . وقال السدي (ولو ألقى معاذيره) حجة . وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير . وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) يقول لو ألقى ثيابه . وقال الضحاك ولو ألقى ستوره وأهل اليمن يسمون الستر العنذار . والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وكقوله تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فاحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) وقال العوفي عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) هي الاعتذار لم تسمع أنه قال (لا ينفخ الظالمين معذرتهم) وقال (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) (فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء) وقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين)

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمَجِّلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾

هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك فانه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن يسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه . فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ولهذا قال تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أي بالقرآن كما قال تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما) ثم قال تعالى (إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرآنه) أي أن تقرأه (فاذا قرأناه) أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك (ثم إن علينا بيانه) أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفثيه قال فقال لي ابن عباس أنا أحرك شفثي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفثيه وقال لي سعيد وأنا أحرك شفثي كما رأيت ابن عباس يحرك شفثيه فأنزله الله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وأصت (ثم إن علينا بيانه) فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه . وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبي عائشة به . ولفظ البخاري فكان إذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل . وقاله ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفثيه يتلقى أوله ويحرك به شفثيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزله الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) وهكذا قال الشعبي والحسن البصري وقاتدة ومجاهد والضحاك وغير واحد إن هذه الآية نزلت في ذلك . وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال كان لا يفر من القرآن مخافة أن ينساه فقال الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أن نجمله لك (وقرآنه) أن تحرك فلا تنسى ، وقال ابن عباس وعطية العوفي (ثم إن علينا بيانه) تبين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة . وقوله تعالى (كلاً بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي إنما يحملهم على التكذيب يوم القيامة ومخالفة

ما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحي الحق والقرآن العظيم إتهمهم إلى الدار الله الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة . ثم قال تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) من النضارة أي حسنة بهيمة مشرقة مسرورة (إلى ربها ناظرة) أي تراها عيانا كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه « إنكم سترون ربكم عيانا » . وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها ، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ائقال « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحب ؟ » قالوا لا ، قال « إنكم ترون ربكم كذلك » . وفي الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فكن استنظتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا » وفي الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » . وفي أفراد مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ! قال فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة » ثم تلا هذه الآية (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه « ان الله يتجلى للمؤمنين يضحك » يعني في عرصات القيامة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات وفي روضات الجنات . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبيجر حدثنا يزيد بن أبي فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألهى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين » ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن شيبان عن إسرائيل عن نوير قال سمعت ابن عمر . فذكره ، قال : ورواه عبد الملك بن أبيجر عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ، وكذلك رواه الثوري عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرقه ، ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألغنا منها من الصحاح والحسان والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق ، وهذا بمحمد الله جمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام . وهداة الأئمة ، ومن تأول ذلك بأن المراد بالي مفرد الآلاء وهي النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد (إلى ربها ناظرة) قال تنتظر الثواب من ربها ، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعدها القائل النجعة وأبطل فيها ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى (كلا إتهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ؟) قال الشافعي رحمه الله تعالى . ما حجب الفجار الا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ببادل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى (إلى ربها ناظرة) قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن (وجوه يومئذ ناضرة) قال حسنة (إلى ربها ناظرة) قال تنتظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق وقوله تعالى (ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة ، قال قتادة : كالحلة وقال السدي تغير ألوانها وقال ابن زيد (باسرة) أي غابسة (تظن) أي تستيقن (أن يفعل بها فاقرة) قال مجاهد داهية ، وقال قتادة شر وقال السدي تستيقن أنها هالكة وقال ابن زيد تظن أن ستدخل النار ، وهذا المقام كقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قفرة أولئك هم الكفرة الفجرة) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية - إلى قوله - وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية) في أشباه ذلك من الآيات والسيقات

(كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْقَرَابِقَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَمَتِ الْأَسَاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ

يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ * فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿

يُحْيِي تَعَالَى عَنْ حَالَةِ الْإِحْتِضَارِ وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَهْوَالِ ثَبَتَنَا اللَّهُ هُنَاكَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فَقَالَ تَعَالَى (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْمُرَاتِقَ) إِنْ جَعَلْنَا كَلَّا رَادِعَةً فَعِنَاهَا لَسْتَ يَا ابْنَ آدَمَ هُنَاكَ تَكْذِبُ بِمَا أَخْبَرْتَ بِهِ بَلْ صَارَ ذَلِكَ عِنْدَكَ عِيَانًا، وَإِنْ جَعَلْنَا هَابِعِي حَقًّا فَظَاهِرٌ أَى حَقًّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاتِقَ أَى انْتَزَعْتَ رُوحَكَ مِنْ جَسَدِكَ وَبَلَغَتِ تَرَاقِيكَ، وَالتَّرَاتِقُ جَمْعُ تَرْقُوتَةٍ وَهِيَ الْعِظَامُ الَّتِي بَيْنَ ثَمَرَةِ النَّحْرِ وَالْمَاتِقِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ، وَأَنْتُمْ حِينْتُمْ تَنْظُرُونَ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ، فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ، تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وَهَكَذَا قَالَ هُنَا (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاتِقَ) وَيَذْكَرُ هُنَا حَدِيثَ بَشْرِ بْنِ حِجَّاجٍ الَّذِي تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ يَس. وَالتَّرَاتِقُ جَمْعُ تَرْقُوتَةٍ وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْحُلُقُومِ (وَقِيلَ مِنْ رَاقٍ؟) قَالَ عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَى مِنْ رَاقٍ يَرِقُ وَكَذَا قَالَ أَبُو قَلَابَةَ (وَقِيلَ مِنْ رَاقٍ) أَى مِنْ طَيِّبِ شَافٍ وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَابْنُ زَيْدٍ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ طَلْحَةَ حَدَّثَنَا رُوحُ بْنُ الْمُسَيْبِ أَبُو رَجَاءٍ الْكَلْبِيُّ حَدَّثَنَا عُمَرُو بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (وَقِيلَ مِنْ رَاقٍ) قِيلَ مِنْ يَرِقُ بِرُوحِهِ مَلَأَتْهُ الرَّحْمَةُ أَمْ مَلَأَتْهُ الْعَذَابُ؟ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مِنْ كَلَامِ الْمَلَأَتْهُ، وَهَذَا الْإِسْنَادُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قَالَ التَّفَتُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَكَذَا قَالَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) يَقُولُ آخِرُ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ فَتَلْتَقِي الشَّدَةُ بِالشَّدَةِ إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) الْأَمْرُ الْعَظِيمُ بِالْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَقَالَ عِبَادُ بِلَاءٍ وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) هُمَا سَاقَاكَ إِذَا التَفَتَا، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ مَاتَتْ رِجْلَاهُ فَلَمْ تَعْمَلَاهُ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِمَا جُورًا وَكَذَا قَالَ السُّدِّيُّ عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ الْحَسَنِ: هُوَ لَقِيمَا فِي الْكُفْرِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ: النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِجَسَدِهِ، وَالْمَلَأَتْهُ يَجْهَرُونَ بِرُوحِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ لِلسَّاقِ) أَى لِلرَّجْلِ وَاللَّابِ وَذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ تَرْفَعُ إِلَى السَّمَوَاتِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوا عَبْدِي إِلَى الْأَرْضِ فَانْزِلْ مِنْهَا خَلْقَتَهُمْ فِيهَا أُعِيدُوا وَمِنْهَا أُخْرِجَهُمْ تَارَةً أُخْرَى كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ الطَّوِيلِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَهُوَ الظَّاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى) هَذَا إِخْبَارٌ عَنِ الْكَافِرِ الَّذِي كَانَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مُكْذِبًا لِلْحَقِّ بِقَلْبِهِ مُتَوَلِّيًا عَنِ الْعَمَلِ بِقَالِهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ بَاطِنًا وَلَا ظَاهِرًا وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) أَى جَذَلَانَ أَثْرًا بَطْرًا كَسَلْنَا لَاهِمَةً لَهُ وَلَا عَمَلٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) وَقَالَ تَعَالَى (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ) أَى يَرْجِعُ (بَلَى إِنَّهُ كَانَ بِهَ بَصِيرًا) وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) أَى يَخْتَالُ وَقَالَ قَتَادَةُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ يَتَبَخَّرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) وَهَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْكَافِرِ بِهَ التَّبَخُّرُ فِي مَشْيِهِ أَى يَحْقُ لَكَ أَنْ تَمْشِيَ هَكَذَا وَقَدْ كَفَرْتَ بِعَالَمِكَ وَبَارْتِكَ كَمَا يُقَالُ فِي مِثْلِ هَذَا طَى سَبِيلِ التَّهَمُّكِ وَالتَّهْدِيدُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى (كُلُوا وَتَمَتُّوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ) وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) وَكَقَوْلِهِ جَلَّ (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَنَانَ الْوَأَسْطَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جَبْرِ قُلْتَ (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي جَهْلٍ ثُمَّ نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ

وقال أبو عبد الرحمن النسائي حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة وحديثنا أبو داود حدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبيرة قال: قلت لابن عباس (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى)؟ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله عز وجل، قال ابن أبي حاتم وحدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا شعيب عن إسحق حدثنا سعيد عن قتادة قوله (أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى) وعيد على أثر وعيد كما تسمعون وزعموا أن عدو الله أباجهل أخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم بمجامع ثيابه ثم قال «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» فقال عدو الله أبو جهل أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا وإني لأعز من مشى بين جبلها وقوله تعالى (أحسب الإنسان أن يترك سدى) . قال السدي يعني لا يبعث وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لا يؤمر ولا ينهى، والظاهر أن الآية تم الحالين أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملًا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور مني في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة، والقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعداوة ولهذا قال تعالى مستدلا على الإعادة بالبداة فقال تعالى (ألم يك نطفة من منى يعني) أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يعني يراق من الأصلاب في الأرحام. (ثم كان علقة فخلق فسوى) أي فصار علقة ثم مضعة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا آخر سويا سليم الأعضاء ذكرا أو أنثى بإذن الله وتقديره. ولهذا قال تعالى (فجعل منه الزوجين الذكرو والأنثى) ثم قال تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بده. وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداوة وإمامساوية على القولين في قوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) والأول أشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقديره والله أعلم

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا شاذان عن شعبة عن موسى بن أبي عائشة عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فإذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) قال سبحانك اللهم فبلى فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك. وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) قال سبحانك فبلى فسأله عن ذلك فقال سمعته من رسول الله ﷺ تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك وقال أبو داود أيضا حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان حدثني إسماعيل بن أمية سمعت أعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «من قرأ منكم باليتين والزيتون فاتمى إلى آخرها» (أليس الله بأحكم الحاكمين) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ (لا أقسم بيوم القيامة) فاتمى إلى قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) فليقل بلى، ومن قرأ (والمرسلات) فبلغ (فبأى حديث بعده يؤمنون) فليقل آمنا بالله» ورواه أحمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي عن ابن أبي عمير عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن إسماعيل بن أمية قال: قلت له من حديثك: قال رجل صدق عن أبي هريرة وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي) ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال «سبحانك وبلى». ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبير حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟) قال سبحانك فبلى. آخر تفسير سورة القيامة والله الحمد واللثة

(تفسير سورة الانسان وهي مكية)

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم تنزيل) السجدة (هل آتى على الإنسان؟) وقال عبد الله بن وهب أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ

قرأ هذه السورة (هل أتى على الانسان حين من الدهر ؟) وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرج نفس صاحبكم - أو قال أخيك - الشوق إلى الجنة » مرسل غريب

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيمًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الانسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟) ثم بين ذلك فقال جل جلاله (إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج) أى أخلط ، والشج والشيج: الشيء المختلط بعضه في بعض ، قال ابن عباس في قوله تعالى (من نطفة أمشاج) يعنى ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله تعالى (نبتيه) أى نختبره كقوله جل جلاله (ليلوكم أيكم أحسن عملا) (فجعلناه مميما بصيرا) أى جعلناه له سمعا وبصيرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية وقوله جل وعلا (إنا هديناه السبيل) أى بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا (وأما نوح فهديناهم فأستحبوا العمى على الهدى) وكقوله جل وعلا (وهديناه النجدين) أى بينا له طريق الخير وطريق الشر وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور . وروى عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدى أنهم قالوا في قوله تعالى (إنا هديناه السبيل) يعنى خروجه من الرحم وهذا قول غريب والصحيح المشهور الأول . وقوله تعالى (إما شاكرا وإما كفورا) منصوب على الحال من الماء في قوله (إنا هديناه السبيل) تقديره فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد كما جاء في الحديث الذى رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الناس يغدو فبائع نفسه فموقبها أو معتقها »

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة «أعاديك الله من إماراة السفهاء .» قال وما إماراة السفهاء ؟ قال «أمرأه يكونون من بعدى لا يهتدون بهدأى ، ولا يستنون بسنتى فمن صدقهم بكذبهم وأظنهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ولا يردون على حوضى ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منى وأنا منهم وسيردون على حوضى يا كعب بن عجرة : الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة ، والصلاة قربات - أو قال برهان - يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به ، يا كعب : الناس غاديان فبتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموقبها » ورواه عن عفان عن وهيب عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقد تقدم في سورة الروم عند قوله جل جلاله (فطرة الله التى فطر الناس عليها) من رواية جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكرا وإما كفورا »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو طاهر حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن القبرى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن خارج يخرج إلا يباه رايتان : راية يدملك وراية يد شيطان فان خرج لما يجب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ؟ وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته . »

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالْغَدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ
الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا *
إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَّهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَّاهُمْ
بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿

يخبر تعالى عما أُرصد له للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهب والحريق في نار جهنم كما قال تعالى (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون) ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) وقد علم مافي الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاعة في الجنة . قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) أى هذا الذى مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها القربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عينا على التمييز ، قال بعضهم هذا الشراب في طيبه كالسكفور ، وقال بعضهم هو من عين كافور وقال بعضهم يجوز أن يكون منصوبا بيشرب حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقوله تعالى (يفجرونها تفجيرا) أى يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومعالهم ، والتفجير هو الانبعاث كما قال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) وقال (وفجرنا خلخالها نهرا) . وقال مجاهد (يفجرونها تفجيرا) يقودونها حيث شاءوا وكذا قال عكرمة وقتادة ، وقال الثعالبي يصرفونها حيث شاءوا ، وقوله تعالى (يوفون بالغدر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أى يتعبدون لله فيها أوجه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر . قال الإمام مالك عن طلحة بن عبد الملك الأيلي عن القاسم بن مالك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » رواه البخارى من حديث مالك . ويتكون الحرمان التى نهام عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذى شره مستطير أى منتشر غام على الناس إلا من رحم الله ، قال ابن عباس: فاشيا ، وقال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض ، قال ابن جرير : ومنه قولهم: استطار الصدع في الزجاجاة واستطار ، ومنه قول الأعشى :

فبانت وقد أسأت في الفؤا د صدعا على نأيها مستطيرا

يعنى تمتد فاشيا . وقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) قيل على حب الله تعالى ، وجعلوا الضمير عائدا إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه ، والأظهر أن الضمير عائدا على الطعام أى ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى (وآتى المال على حبه) وكقوله تعالى (لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون) وروى البيهقي من طريق الأعمش عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتبهى عنبا أول ماجاء العنب فأرسلت صفة يعنى امرأته فاشترت عنقودا بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت صفة إلى السائل فقالت والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به وفي الصحيح « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » أى في حال محبتك لله ولحرصك عليه وحاجتك اليه ولهذا قال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما ، وأما الأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك : الأسير من أهل القبلة ، وقال ابن عباس كان أسراؤم

يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة ثم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية للسلم والمشارك ، وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث حتى انه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » قال مجاهد هو المحبوس أى يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال (إنما نطعمكم لوجه الله) أى رجاء ثواب الله ورضاه (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أى لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن تشكرونا عند الناس . قال مجاهد وسعيد ابن جبير أما والله ما قالوه بألستهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب (إننا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) أى إنما فعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس عبوسا ضيقا قمطريرا طويلا ، وقال عكرمة وغيره عنه في قوله (يوما عبوسا قمطريرا) قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد (عبوسا) العابس الشفتين (قمطريرا) قال يقبض الوجه باليسور ، وقال سعيد بن جبير وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول قمطريرا تقلص الجبين وما بين العينين من الهول وقال ابن زيد العبوس الشر والقمطرير الشديد ، وأوضح العبارات وأجلاها ، وأحلاها ، وأعلاها وأولها قول ابن عباس رضى الله عنه قال ابن جرير والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قاطر . ويوم عصب وعصبب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارا وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم

بنى عمنا هل تذكرون بلاءنا ؟ عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قال الله تعالى (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا) وهذا من باب التجانس البليغ (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى آمنهم مما خافوا منه (ولقاهم نضرة) أى في وجوههم (وسرورا) أى في قلوبهم ، قاله الحسن البصرى وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس وهذه كقوله تعالى (وحوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة) وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه ، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقه قمر ، وقالت عائشة رضى الله عنها دخل على رسول الله ﷺ مسرورا تشرق أسارير وجهه . الحديث وقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) أى بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريرا أى منزلا رجا وعيشا رغدا ولباسا حسنا وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال قرىء على أبي سليمان الداراني سورة (هل أتى على الإنسان ؟) فلما بلغ القارىء إلى قوله تعالى (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) قال بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ثم أنشد يقول :

كم قتيل لشهوة وأسير أف من مشتهى خلاف الجميل
شهوة الإنسان تورثه اللد وتلقيه في البلاء الطويل

﴿ مُشْكِينٍ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلْمُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا * وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا نَسَمَى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا * عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضِرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أُسُورٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى (متكئين فيها على الأرائك) وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات وذكر الخلاف في الانتكاه هل هو الاضطجاع أو التمرقق أو التربع أو التمكن في الجلوس وأن الأرائك هي السرر تحت الحجال وقوله تعالى (لا يرون فيها شمسا ولا زمهيرا) أى ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمدى لا يغيون عنها حولا (ودانية عليهم ظلالها) أى قريبة إليهم أغصانها (وذلت قطوفها تذليلا) أى متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طامع كما قال تعالى في الآية الأخرى (وجنى الجنتين دان) وقال جل وعلا (قطوفها دانية) قال مجاهد (وذلت قطوفها تذليلا) إن قام ارتفعت معه بقدر ، وإن تعد تذلت له حتى ينالها ، وإن اضطجع تذلت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى (تذليلا) وقال قتادة لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد ، وقال مجاهد أرض الجنة من ورق وتراها المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والتمر بين ذلك فمن أكل منها قائما لم تؤذه ، ومن أكل منها قاعدا لم تؤذه ، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه . وقوله جلت عظمتها (ويطاف عليهم بآية من فضة وأكواب) أى يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهى من فضة وأكواب الشراب وهى الكيزان التى لا عرى لها ولا خراطيم وقوله (قوارير قوارير من فضة) فالأول منصوب بخبر كان أى كانت قوارير ، والثانى منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه بينه بقوله جل وعلا (قوارير من فضة) قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصرى وغير واحد يياض الفضة فى صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج ، فهذه الأكواب هى من فضة وهى مع هذا شفاقة يرى ما فى باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له فى الدنيا . قال ابن المبارك عن إسماعيل عن رجل عن ابن عباس : ليس فى الجنة شئ إلا قد أعطيتم فى الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى (قدروها تقديرا) أى على قدر ربه لا تزيد عنه ولا تنقص بل هى معدة لذلك مقدرة بحسب رى صاحبها ، هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبى صالح وقاتدة وابن أبى عمير وعبد الله بن عبيد بن عمير وقاتدة والشعبي وابن زيد وقاله ابن جرير وغير واحد وهذا أبلغ فى الاعتناء والشرف والكرامة ، وقال العوفى عن ابن عباس (قدروها تقديرا) قدرت للكف وهكذا قال الربيع بن أنس ، وقال الضحاك على قدر كف الخادم وهذا لا يناق القول الأول فانها مقدرة فى القدر والرى

وقوله تعالى (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) أى ويسقون يعنى الأبرار أيضا فى هذه الأكواب (كأسا) أى خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة ، وأما القربون فانهم يشربون من كل منهما صرفا كما قاله قتادة وغير واحد . وقد تقدم قوله جل وعلا (عينا يشرب بها عباد الله) وقال ههنا (عينا فيها تسمى سلسيلا) أى الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسيلا قال عكرمة : اسم عين فى الجنة وقال مجاهد سميت بذلك لسلاسة سلسيلا وحده جريها ، وقال قتادة (عينا فيها تسمى سلسيلا) عين سلسة مستقيد ماؤها وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها فى الخلق واختار هو أنها تم ذلك كله وهو كما قال . وقوله تعالى (ويطوف عليهم ولدان مخلدون * إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة (مخلدون) أى على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن ومن فسروهم بأنهم مخرصون فى آذانهم الأقرطة فانما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير . وقوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى إذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا ولا فى النظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على السكان الحسن قال قتادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمرو : ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه وقوله جل وعلا (وإذا رأيت) أى وإذا رأيت يا محمد (ثم) أى هناك يعنى فى الجنة ونعيمها

وسعتها وارتفاعها وما فيها من الخبرة والسرور (رأيت نعيًا وملكًا كبيرًا) أى مملكة لله هناك عظيمة وسلطانًا باهرًا . وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا إليها إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . وقد قدمنا في الحديث المروى من طريق ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه » فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى . وقد روى الطبراني ههنا حديثًا غريبًا جدًا فقال حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا عقبة بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « سل واستفهم » فقال يا رسول الله فضلتهم علينا بالصور والألوان والنبوة أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إني لكائن معك في الجنة قال « نعم والذى نفسى بيده إنه ليرى يياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام » ثم قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبجمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأتمله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفذ ذلك كله إلا أن يتعمده الله برحمته » ونزلت هذه السورة (هل أتى على الإنسان حين من الدهر - إلى قوله - ملكًا كبيرًا) فقال الحبشى وإن عيني لترى ما ترى عينك في الجنة قال « نعم » فاستبكي حتى فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رأيت رسول الله ﷺ يديه في حفرتيه يديه

وقوله جل جلاله (عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) أى لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالتمصان ونحوها مما يلي أبدانهم ، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو للمعهود في اللباس (وحلوا أساور من فضة) وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا ولباسهم فيها حرير) ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلى قال بعده (وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا) أى طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة كما روينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشرّبوا من أحدهما فأذهب الله ما فى بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن وقوله تعالى (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) أى يقال لهم ذلك تسكريمًا لهم وإحسانًا إليهم كما قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) وكقوله تعالى (ونودوا أن تلکم الجنة أو ترموھا بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (وكان سعيكم مشكورا) أى جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا * وَأَذْكُرِ آيَاتِ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا * إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا * نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا * إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذَكَّرُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

يقول تعالى ممثنا على رسوله صلى الله عليه وسلم بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا (فاصبر لحكم ربك) أى

كما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدييره (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً)
 أى لا تطع الكافرين وللناقضين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله فإن
 الله يعصمك من الناس ، فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر قلبه (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً) أى
 أول النهار وآخره (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً) كقوله تعالى (ومن الليل قتهجد به نافلة لك عسى أن
 يبعثك ربك مقاماً محموداً) وكقوله تعالى (يا أيها الملزم قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل
 القرآن ترتيلاً) ثم قال تعالى منكراً على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها وترك الدار
 الآخرة وراء ظهورهم (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً) يعنى يوم القيامة ثم قال تعالى (نحن
 خلقناهم وشددناهم بأسرع) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعنى خلقهم (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً) أى وإذا
 شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقاً جديداً ، وهذا استدلال بالبداة على الرجعة وقال ابن زيد وابن جرير
 (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً) أى وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت
 بآخرين وكان الله على ذلك قديراً) وكقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) ثم قال تعالى
 (إن هذه تذكرة) يعنى هذه السورة تذكرة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) أى طريقاً ومسلكاً أى من شاء اهتدى
 بالقرآن كقوله تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الآية ، ثم قال تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) أى
 لا يقدر أحد أن يهدى نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يخرج لنفسه نفعاً (إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً) أى علم
 بمن يستحق الهداية فيسيرها له ويقض له أسبابها ومن يستحق العواية فيصرفه عن الهدى . وله الحكمة البالغة ، والحجة
 الدامغة ولهذا قال تعالى (إن الله كان عليماً حكيماً) ثم قال (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً) أى
 يهدى من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له . آخر تفسير سورة الإنسان والله الحمد وللمنة

(تفسير سورة المرسلات وهى مكية)

قال البخارى ثنا أحمد ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن الأسود عن عبد الله - هو ابن
 مسعود - رضى الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار بمنى إذ نزلت عليه (والمرسلات) فانه
 ليتلوها وإنى لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي ﷺ « اتلوها » فابتدرناها فذهب
 فقال النبي ﷺ « وقيت شركم كما وقيت شرها » وأخرجه مسلم أيضاً من طريق الأعمش وقال الإمام أحمد : ثنا
 سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات
 عرفاً ، وفي رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ (والمرسلات عرفاً)
 فقالت يا بنى أذكركنى بقرائك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب . أخرجاه
 في الصحيحين من طريق مالك به

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْمَصِيفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا * فَالْمَلَقَاتِ ذِكْرًا * عُدْرًا
 أَوْ نُذْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ * فَإِذَا الْتَجُّومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ * وَإِذَا
 الرَّسُلُ أَقْبَتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمِ الْفَصْلِ * وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾

قال ابن أبي حاتم ثنا أبو تار زكريا بن سهل المروزي ثنا علي بن الحسن بن شقيق أنا الحسين بن واقد ثنا الأعمش عن أبي صالح
 عن أبي هريرة (والمرسلات عرفاً) قال الملائكة ، وروى عن مسروق وأبي الضحى ومجاهد في إحدى الروايات والسدى

وإبراهيم بن أنس مثل ذلك وروى عن أبي صالح أنه قال هي الرسل وفي رواية عنه أنها الملائكة ، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات أنها الملائكة . وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيد بن قال سألت ابن مسعود عن الرسائل عرفا قال الريح ، وكذا قال في (العاصفات عصفا والناشرات نشرا) إنها الريح وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه وتوقف ابن جرير في (والرسائل عرفا) هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضا أو هي الرياح إذا هبت شيئا فشيئا ؟ وقطع بأن العاصفات عصفا الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه ، وعن قال ذلك في العاصفات عصفا أيضا علي بن أبي طالب والسدي وتوقف في الناشرات نشرا هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم ، وعن أبي صالح أن الناشرات نشرا هي الطر ، والأظهر أن الرسائل هي الرياح كما قال تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) وقال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وهكذا العاصفات هي الرياح ، يقال عصفت الرياح إذا هبت بتصويت ، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل . وقوله تعالى (فالفارقات فرقا للملقيات ذكرا ، عنرا أو نذرا) يعني الملائكة . قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والريح بن أنس والسدي والثوري ولا خلاف هنا فأنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والنهى ، والحلال والحرام ، وتلقى إلى الرسل وحيا فيه إغذار إلى الخلق وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره . وقوله تعالى (إنما توعدون لواقع) هذا هو القسم عليه بهذه الأقسام أي ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد وبجائزة كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر إن هذا كله لواقع أي لكانن للاحالة . ثم قال تعالى (فإذا النجوم طمست) أي ذهب ضوءها كقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) وكقوله تعالى (وإذا الكواكب انتثرت) (وإذا السماء فرجت) أي انفتحت وانشقت وتدلّت أرجاؤها ووهت أطرافها (وإذا الجبال نسفت) أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) الآية وقال تعالى (ويوم نسف الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم تغادرهم تحدا) . وقوله تعالى (وإذا الرسل أقتت) قال العوفي عن ابن عباس جمعت . وقال ابن زيد وهذه كقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل) وقال مجاهد (أقتت) أجلت وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم (أقتت) أوعدت وكأنه يجعلها كقوله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) . ثم قال تعالى (لأي يوم أجلت ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجيء أمرها حتى تقوم الساعة كما قال تعالى (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار) وهو يوم الفصل كما قال تعالى (ليوم الفصل) ثم قال تعالى معظما لشأنه (وما أدراك ما يوم الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم من عذاب الله خدا وقد قدمنا في الحديث أن ويل واد في جهنم ولا يصح

(أَلَمْ نُهْلِكِ الْأُولِينَ * ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَاهِجَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا * وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ)

يقول تعالى (ألم نهلك الأولين) يعني من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءهم به (ثم تبصهم الآخرين) أي ممن أشبههم ولهذا قال تعالى (كذلك نفعل بالمجرمين . ويل يومئذ للمكذبين) قاله ابن جرير . ثم قال تعالى تمت على خلقه

وحتجا على الاعادة بالبداة (ألمنخلفكم من ماء مهين) أى ضيف حقير بالنسبة إلى قدرة البارى عز وجل كما تقدم فى سورة يس فى حديث بشر بن جعاش « ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ » (فجعلناه فى قرارمكين) يعنى جمعناه فى الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة والرحم معد لتلك حافظ لما أودع فيه من الماء . وقوله تعالى (إلى قدر معلوم) يعنى إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى (قد درنا نعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (ألمنجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا) قال ابن عباس كفاتا كنا وقال مجاهد يكفت الميت فلا يرى منه شىء وقال الشعبي بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم وكذا قال مجاهد وقتادة (وجعلناها رواسى شامخات) يعنى الجبال رسى بها الأرض ثلاثا تتمد وتضطرب (وأسقيناكم ماء فراتا) أى عذبا زلالا من السحاب أو ما أبعه من عيون الأرض (ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره

﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَاتٌ صُفْرٌ * وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعَتُكُمْ وَالْأُولَئِينَ * فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا * وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار أنهم يقال لهم يوم القيامة (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب (لاظليل ولا يغنى من اللهب) أى ظل السخان المقابل للهب لاظليل هو فى نفسه ولا يغنى من اللهب يعنى ولا يقهر حر اللهب . وقوله تعالى (إنها ترمى بشر كالقصر) أى يتطاير الشرر من لهبها كالقصر قال ابن مسعود كالحصون ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وغيرهم يعنى أصول الشجر (كأنه جمالة صفر) أى كالإبل السود قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير ، وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير (جمالة صفر) يعنى جبال السفن ، وعنه أعى ابن عباس (جمالة صفر) قطع نحاس وقال البخارى ثنا عمرو ابن على ثنا يحيى أنا سفيان عن عبدالرحمن بن عباس قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما (إنها ترمى بشر كالقصر) قال كنا نعمد إلى الحشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فترفه للبناء فنسميه القصر (كأنه جمالة صفر) جبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال (ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (هذا يوم لا ينطقون) أى لا يتكلمون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أى لا يقدرن على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ، وعرضات القيامة حالات والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام (ويل يومئذ للمكذبين)

وقوله تعالى (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون) وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) يعنى أنه جمعهم بقدرته فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر . وقوله تعالى (فإن كان لكم كيد فكيدون) تهديد شديد ووعيد أ كيد أى إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتى وتتجوا من حكمى فافعلوا فإنكم لا تقدرن على ذلك كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقد قال تعالى (ولا تضرونه شيئا) وفى الحديث « يا عبادى إنكم لن تبلغوا نقى فتنفونى ولن تبلغوا ضرى فتضرونى » .

وقد قال ابن أبى حاتم : ثنا على بن النذر الطريفي الأودى ثنا محمد بن فضيل ثنا حصين بن عبد الرحمن عن حسان

ابن أبي الخارق عن أبي عبد الله الجدلي قال : أتيت بيت المقدس فاذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فان كان لكم كيد فكيديون) اليوم لاينجو مني جبار عنيد ، ولا شيطان مرید ، فقال عبد الله بن عمرو فانحدث يومئذ أنها تخرج عنق من النار فتطلق حتى إذا كانت بين ظهراي الناس نادى : أيها الناس إني بعثت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه لا يخيبهم عنى وزر ولا تخفهم عنى خافية ، الذى جعل مع الله إلهها آخر ، وكل جبار عنيد ، وكل شيطان مرید ، فتطوى عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ * وَفَوْكَهَا مِمَّا يَسْتَهْوُونَ * كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَسَبُوا تَعْمَلُونَ * إِنْ أَرَادَ نَجَازِي الْمُحْسِنِينَ * وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ * كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ * وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ كُفِرْتُمْ يَوْمَئِذٍ * فَبَأَى حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبادة المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات ، إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أى بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليعقوم وهو الدخان الأسود اللتين ، وقوله (وفواكه مما يشتهون) أى ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم . ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً (إنا كذلك نجزي المحسنين) أى هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل (ويل يومئذ للكافرين) . وقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون) خطاب للكافرين يوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى (كلوا وتمتعوا قليلاً) أى مدة قليلة قريبة قصيرة (إنكم مجرمون) أى ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها (ويل يومئذ للكافرين) كما قال تعالى (تمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقوله تعالى (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أى إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى (ويل يومئذ للكافرين) ثم قال تعالى (فبأى حديث بعده يؤمنون ؟) أى إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأى كلام يؤمنون به ؟ كقوله تعالى (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟)

قال ابن أبي حاتم ثنا ابن أبي عمير ثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية سمعت رجلاً أعرايا بدوي يقول سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ والمرسلات عرفاً - قرأ - فبأى حديث بعده يؤمنون ؟ فليقل أنت بالله وبما أنزل . وقد تقدم هذا الحديث في سورة القيامة . آخر تفسير سورة المرسلات والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

(تفسير سورة النبأ وهي مكة)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَمَاوَاتٍ شَدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾

يقول تعالى منكر اهل الشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارا لوقوعها (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) أي عن أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة وهو النبأ العظيم يعني الخبر الهائل المفظع الباهر قال قتادة وابن زيد: النبأ العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن . والأظهر الأول لقوله (الذي هم فيه مختلفون) يعني الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر ثم قال تعالى متوعدا للشركى القيامة (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد . ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء العجيبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر العباد وغيره فقال (ألم نجعل الأرض مهادا) أي مهادة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة (والجبال أوتادا) أي جعلها لها أوتادا أرساهاها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها . ثم قال تعالى (وخلقناكم أزواجا) يعني ذكرا وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتا) أي قطعنا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان (وجعلنا الليل لباسا) أي يشى الناس ظلامه وسواده كما قال (والليل إذا يغشاها) وقال الشاعر:

فلما لبسن الليل أوحين نصبت له من حذا آذانها وهو جاع

وقال قتادة في قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا) أي سكتنا وقوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) أي جعلناه مشرقا نيرا مضيا ليمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والجمي للعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك وقوله تعالى (وبينا فوقكم سبعا شدادا) يعني السموات السبع في إتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها وتزيينها بالكواكب الثواب والسيارات ولهذا قال تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعني الشمس المنيرة على جميع العالم التي يترهج ضوءها لأهل الأرض كلهم . وقوله تعالى (وأنزلنا من المصبرات ماء ثجاجا) قال العوفي عن ابن عباس : المصبرات الريح وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن الأعمش عن النهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (وأنزلنا من المصبرات) قال الرياح وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة ومقاتل والسكبي وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن إنها الرياح ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من المصبرات أي من السحاب وكذا قال عكرمة أيضا وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري واختاره ابن جرير ، وقال الفراء هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد ، كما يقال امرأة مصبرة إذا دنا حياضها ولم تحض وعن الحسن وقتادة من المصبرات يعني السموات وهذا قول غريب ، والا ظهر أن اللراد بالمصبرات السحاب كما قال تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) أي من بينه ، وقوله جل وعلا (ماء ثجاجا) قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس : ثجاجا منسبا وقال الثوري متابعا وقال ابن زيد كثيرا ، قال ابن جرير ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثج وإنما الثج الصب المتتابع ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « أفضل الحج العج والثج » يعني صب دماء البدن هكذا قال ، قلت وفي حديث الاستحاضة حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنت لك الكرسف » يعني أن تحتشى بالقطن فقالت يا رسول الله هو أكثر من ذلك إنما أئج ثجا ، وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير والله أعلم وقوله تعالى (لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألقافا) أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك (حبا) يدخر للأناسي والأنعام (ونباتا) أي خضرا يؤكل رطبيا (وجنات) أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعموم وروائح متفاوتة وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعا ولهذا قال وجنات ألقافا قال ابن عباس وغيره ألقافا مجتمعة وهذه كقوله تعالى (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفِصْلِ كَانَ مِيقَتًا * يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَنَابِتًا * لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً * وَفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزداد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل كما قال تعالى (وما تؤخره إلا لأجل معدود) (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) قال مجاهد: زمرا زمرا قال ابن جرير يعني تأتي كل أمة مع رسولها كقوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) وقال البخاري (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) حدثنا محمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما بين النفختين أربعون » قالوا أربعون يوما ؟ قال « آيت » قالوا أربعون شهرا ؟ قال « آيت » قالوا أربعون سنة ؟ قال « آيت » قال « ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى الأعظما واحدا وهو عجب الدنوب ومنه يركب الخلق يوم القيامة » (وفتحت السماء فكانت أبوابا) أي طرقا ومسالك لنزول الملائكة (وسيرت الجبال فكانت سرابا) كقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وكقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال ههنا (فكانت سرابا) أي ينجلي إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيدورها قاعا صاففاً * لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) ، وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) وقوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) أي مرصدة معدة (للطاغين) وهم المرردة العصاة المخالفون للرسول (مآباً) أي مرجعا ومنقلبا ومصيرا ونزلا وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) يعني أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فإن كان معه جواز نجا والا احتبس ؛ وقال سفيان الثوري عليها ثلاث قناطر

وقوله تعالى (لا يبين فيها أحقابا) أي ما كئيب فيها أحقابا وهي جمع حقب وهو اللدة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره فقال ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب لهلل الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل ؟ قال نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة ، وهكذا روى عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبيرة وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والريبع بن أنس والضحاك ، وعن الحسن والسدي أيضا سبعون سنة كذلك، وعن عبد الله بن عمرو : الحقب أربعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون رواها ابن أبي حاتم . وقال بشير بن كعب ذكر لي أن الحقب الواحد ثلثمائة سنة اثنا عشر شهرا كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها كألف سنة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن عمرو بن علي بن أبي بكر الأسفدي حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى (لا يبين فيها أحقابا) قال فالحقب شهر الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة وهذا حديث منكر جدا والقاسم هو الراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك . وقال البراز حدثنا محمد بن مرداس حدثنا سليمان بن مسلم أبو العلاء قال: سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد ؟ فقال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال « والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا » قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما مما تعدون ثم قال سليمان بن مسلم بهري مشهور

وقال السدي (لا بين فيها أحقابا) سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلثائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون ، وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) وقال خالد ابن معدان هذه الآية وقوله تعالى (إلا ما شاء ربك) في أهل التوحيد رواها ابن جرير ثم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى (لا بين فيها أحقابا) متعلقا بقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر ثم قال والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والريبع بن أنس وقد قال قبل ذلك حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن زهير عن سالم سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى (لا بين فيها أحقابا) قال أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار ولكن ذكروا أن الحقب سبعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون ، وقال سعيد عن قتادة قال الله تعالى (لا بين فيها أحقابا) وهو مالا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده وقال الريبع بن أنس (لا بين فيها أحقابا) لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله عز وجل ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلثائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون رواها أيضا ابن جرير ، وقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أي لا يجدون في جهنم بردا لتلويهم ولا شرابا طيبا يتغذون به ولهذا قال تعالى (إلا حميا وغساقا) قال أبو العالية استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق وكذا قال الريبع بن أنس ، فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه ، والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجه من تنه ، وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة ص بما أغنى عن إعادته - أجازنا الله من ذلك بمنه وكرمه - قال ابن جرير وقيل المراد بقوله (لا يذوقون فيها بردا) يعني النوم كما قال الكندي

بردت مرأشها على فصدني * عنها وعن قبلاتها البرد

يعني بالبرد النعاس والنوم . هكذا ذكره ولم يعزه إلى أحد . وقد رواه ابن أبي حاتم من طريق السدي عن مرة الطيب ونقله عن مجاهد أيضا . وحكاه البغوي عن أبي عبيدة والسكسائي أيضا : وقوله تعالى (جزاء أوفاقا) أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا : قاله مجاهد وقاتدة وغير واحد . ثم قال تعالى (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) أي لم يكونوا يعتقدون أن ثم دارا يجازون فيها ويحاسبون (وكذبوا بآياتنا كذابا) أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله صلى الله عليهم وسلم فيقابلونها بالكذب والمعاندة وقوله (كذابا) أي تكذبا ، وهو مصدر من غير الفعل ، قالوا وقد سمع أعرابي يستفتي الفراء على الرواة : الخلق أحب إليك أو القصار ؟ وأنشد بعضهم .

لقد طال ما ثبتتني عن صحابي * وعن حوج قصارها من شقايا
وقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه كتابا) أي وقد علنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزيمهم على ذلك إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) أي يقال لأهل النار ذوقوا ما أتم فيه فلن نزيدكم إلا عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج ، قال قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال فهم في مزيد من العذاب أبدا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال « هلك القوم بما يصيهم الله عز وجل » جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَقَارًا * حَدَّ آتَقَ وَأَعْنِبًا * وَكَوَائِبَ أَثْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾

يقول تعالى عذرا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم اللقيم فقال تعالى (إن للمتقين مقارا)

قال ابن عباس والضحاك: منزهها. وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار. والأظهر ههنا قول ابن عباس لأنه قال بعده (حدائق) والحدائق البساتين من النخيل وغيرها (وأعنايا وكواعب أترابا) أى وهورا كواعب، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كواعب) أى نواهد، يعنون أن ثديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار عرب أتراب أى فى سن واحد كما تقدم بيانه فى سورة الواقعة. قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدستكى حدثنى أبى عن أبى سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن تيم حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث عن أبى عبد الرحمن القاسم بن أبى القاسم المشقى عن أبى أمامة أنه سمعه يحدث عن النبي ﷺ أنه قال « إن قص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله وإن السحابة تمر بهم فتناديهم يا أهل الجنة ماذا ترويدون أن أمطركم؟ حتى إنها لتطرهم الكواعب الأتراب » وقوله تعالى (وكأنا دهاقا) قال ابن عباس مملوءة متتابعة. وقال عكرمة صافية، وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد (دهاقا) للملأى الترة، وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة المتتابعة. وقوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) كقوله (لا لغوا فيها ولا تأثيم) أى ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم كذب بل هى دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص. وقوله (جزاء من ربك عطاء حسابا) أى هذا الذى ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بفضلته ومنه وإحسانه ورحمته. عطاء حسانا أى كافيا وإفيا سالما كثيرا، تقول العرب أعطاني فأحسبني أى كفاني ومنه حسبى الله أى الله كافى

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا. * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَلِكَ الْيَوْمُ الْخَلْقُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا * يَوْمَ يَنْظُرُ الْمُرءَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ وَيَقُولُ الْكَاذِبُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾

خبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذى فعلت رحمته كل شيء، وقوله تعالى (لا يملكون منه خطابا) أى لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) وكقوله تعالى (يوم يأتى لا تكلم نفسه إلا بإذنه) وقوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون) اختلف المفسرون فى الراد بالروح ههنا ما هو؟ على أقوال (أحدها) مارواه العوفى عن ابن عباس أنهم أرواح بنى آدم (الثانى) هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقال قتادة: هذا مما كان ابن عباس يكتمه (الثالث) أنهم خلق من خلق الله على صور بنى آدم وليسوا بملائكة ولا بشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش (الرابع) هو جبريل قاله الشعبي وسعيد بن جبيرة والضحاك، ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الرب عز وجل وصاحب الوحي (الخامس) أنه القرآن قاله ابن زيد كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الآية (والسادس) أنه ملك من الملائكة بقدر جميع الخواقات. قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يقوم الروح) قال هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقا. وقال ابن جرير حدثنى محمد بن خلف العسقلانى حدثنا رواد بن الجراح عن أبى حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح فى السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسيحة يخلق الله تعالى من كل تسيحة ملكا من الملائكة يحى يوم القيامة صفا وحده. وهذا قول غريب جداً. وقد قال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله بن عوس للمصرى حدثنا وهب الله بن روق ابن هيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعى حدثنى عطاء عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن لله ملكا لو قيل له التتم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل، تسيحه سبحانه حيث كنت » وهذا حديث غريب جداً وفى رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات وانه أعلم.

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها والأشبه عندى والله أعلم أنهم بنو آدم . وقوله تعالى (إلا من أذن له الرحمن) كقوله (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه) وكما ثبت في الصحيح «ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل» وقوله تعالى (وقال صوابا) أى حقا ومن الحق لا إله إلا الله كما قاله أبو صالح وعكرمة ، وقوله تعالى (ذلك اليوم الحق) أى الكائن لا محالة (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) أى مرجعا وطريقا يهتدى إليه ومنهجا يمر به عليه وقوله تعالى (إنا أنذرناكم عذابا قريبا) يعنى يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا لأن كل ما هو آت آت (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أى يعرض عليه جميع أعماله خيرا وشرها ، قديما وحديثا كقوله تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا) وكقوله تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) (ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا) أى يود الكافر يومئذ أنه كان فى الدار الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود ، وذلك حين عين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدى الملائكة السفرة الكرام البررة ، وقيل إما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التى كانت فى الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذى لا يجوز حتى إنه ليقنص للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها كوفى ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر (يا ليتنى كنت ترابا) أى كنت حيوانا فأرجع إلى التراب ، وقد ورد معنى هذا فى حديث الصور المشهور وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما . آخر تفسير سورة النبأ والله الحمد والمنة . وبه التوفيق والمعصمة

(تفسير سورة النازعات وهى مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالنَّازِعَاتِ غُرَقًا * وَالنَّشِيطِ نَشْطًا * وَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ * يَقُولُونَ أَعْنَانَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَعْدَا كُنَاعِظْمًا نَجْرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ)

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدى (النازعات غرقا) الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بنى آدم فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق فى نزعها ، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأما حلته من نشاط وهو قوله (والناشطات نشطا) قاله ابن عباس وعن ابن عباس (والنازعات) هى أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق فى النار . رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد (والنازعات غرقا) الموت ، وقال الحسن وقتادة (والنازعات غرقا) (والناشطات نشطا) هى النجوم ، وقال عطاء بن أبي رباح فى قوله تعالى (والنازعات والناشطات هى القسى فى القتال والصحيح الأول وعليه الأكثرون . وأما قوله تعالى (والسابقات سبقا) فقال ابن مسعود هى الملائكة ، وروى عن عطي ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك ، وعن مجاهد (والسابقات سبجا) الموت ، وقال قتادة هى النجوم ، وقال عطاء بن أبي رباح : هى السفن . وقوله تعالى (فالسابقات سبقا) روى عن عطي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصرى يعنى الملائكة ، قال الحسن سبقت إلى الإيمان والتصديق وعن مجاهد الموت وقال قتادة : هى النجوم ، وقال عطاء هى الخيل فى سبيل الله . وقوله تعالى (فالمُدبِرَاتِ أَمْرًا) قال عطي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى هى الملائكة زاد الحسن تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعنى بأمر ربها عز وجل ولم يختلفوا فى هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد فى شيء من ذلك إلا أنه حكى فى المدبريات أمرا أنها الملائكة ولا أثبت ولا نفي . وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قال ابن عباس هما الفختان الأولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد ، وعن مجاهد أما الأولى وهى قوله جل وعلا (يوم ترجف الراجفة) فكقوله جلت عظمتها (يوم ترجف الأرض والجبال) والثانية وهى الرادفة فهى

كقوله (وحملت الأرض والجبال فدكتنا دكة واحدة) وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله ابن محمد بن عقيل عن أبي الطفيل بن أبي كعب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » فقال رجل يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ، قال « إذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك » وقد روى الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري باسناده مثله ولفظ الترمذى وابن أبي حاتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » . وقوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) قال ابن عباس يعنى خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة (أبصارها خاشعة) أى أبصار أصحابها وإنما أضيف إليها للملابسة أى ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال . وقوله تعالى (يقولون أننا لمردودون في الحافرة) يعنى مشركي قريش ومن قال بقولهم في إنكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد التصير إلى الحافرة وهى القبور قاله مجاهد ، وبعد تمزق أجسادهم وتمتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا (أنذا كنا عظاما نخرة) وقرئ ناخرة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة أى بالية قال ابن عباس وهو العظم إذا بلى ودخلت الريح فيه (قالوا تلك إذا كرة خاسرة) وعن ابن عباس ومحمد ابن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبى مالك والسدى وقتادة الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد الحافرة النار ، وما أكثر أسماءها هى النار والجحيم وسقر وجهنم والمهاوية والحافرة ولظى والحطمة ، وأما قولهم (تلك إذا كرة خاسرة) فقال محمد بن كعب قالت قريش لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن قال الله تعالى (فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) أى فإنما هو أمر من الله لا مشيئة فيه ولا تأكيد فاذا الناس قيام ينظرون وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فاذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب عز وجل ينظرون كما قال تعالى (يوم يدعوك فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وقال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلقح بالبصر) وقال تعالى (وما أمر الساعة إلا كلقح البصر أو هو أقرب) قال مجاهد (فإنما هى زجرة واحدة) صيحة واحدة وقال إبراهيم التيمي أشد ما يكون الرب عز وجل غضبا على خلقه يوم يبعثهم وقال الحسن البصرى زجرة من الغضب وقال أبو مالك والربيع بن أنس زجرة واحدة هى النفخة الآخرة وقوله تعالى (فإذا هم بالساهرة) قال ابن عباس الساهرة الأرض كلها وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد الساهرة وجه الأرض ، وقال مجاهد كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها قال والساهرة المكان المستوى ، وقال الثوري الساهرة أرض الشام ، وقال عثمان بن أبى العاتكة الساهرة أرض بيت المقدس ، وقال وهب بن منبه الساهرة جبل إلى جانب بيت المقدس وقال قتادة أيضا الساهرة جهنم ، وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا حرز بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السرى حدثنا مصعب ابن ثابت عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي (فإذا هم بالساهرة) قال أرض يضاء عفراء خالية كالخبرة النقى ، وقال الربيع بن أنس (فإذا هم بالساهرة) يقول الله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار) ويقول تعالى (ويسألونك عن الجبال ققل ينسفها ربي نسفا * فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا) وقال تعالى (ويوم نسف الجبال وترى الأرض بارزة) وبرزت الأرض التى عليها الجبال وهى لاتعد من هذه الأرض وهى أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * إِذْ هَبَّ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى

يخبر تعالى رسوله محمدا ﷺ عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه ابتعثه إلى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطفياه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جث به ولهذا قال في آخر القصة (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) فقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) أي هل سمعت بخبره (إذ ناداه ربه) أي كلمه نداء (بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) وهو اسم الوادى على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له (اذهب إلى فرعون إنه طغى) أي تجبر وتمرد وعتا (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع (وأهديك إلى ربك) أي أدلك إلى عبادة ربك (فتخشى) أي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير (فأراه الآية الكبرى) يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ما جاء به من عند الله (فكذب وعصى) أي فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة ، وحاصله أنه كفر قلبه فلم يفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الاتقياء للحق والخضوع له . وقوله تعالى (ثم أدير يسى) أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات (فحشر فنادى) أي في قومه (فقال أنا ربكم الأعلى) قال ابن عباس ومجاهد وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من إله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى (فأخذ الله نكال الآخرة والأولى) أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من التمردين في الدنيا (ويوم القيامة بسس الرعد المرفود) كما قال تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله (نكال الآخرة والأولى) أي الدنيا والآخرة ، وقيل المراد بذلك كلناه الأولى والثانية ، وقيل كفره وعصيانه والصحيح الذى لا شك فيه الأول ، وقوله (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) أي لمن يتعظ وينزجر

﴿ أَأْتُمُّ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِيَّا نَعْمَ لَكُمْ ﴾

يقول تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه (أأتمم) أيها الناس (أشد خلقا أم السماء) يعني بل السماء أشد خلقا منكم كما قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال تعالى (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) وقوله تعالى (بناها) فسره بقوله (رفع سمكها فسواها) أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء . وقوله تعالى (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) أي جعل ليلها مظلمة أسود حالكا ونهارها مضيئا مشرقا نيرا واضحا ، قال ابن عباس : أغطش ليلها أظلمه ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون (وأخرج ضحاها) أي أثار نهارها . وقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) فسره بقوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقى حدثنا عبيد الله بن عمر عن زيد بن أبي أنيسة عن النضر بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (دحاها) ودحيا أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله (والأرض بعد ذلك دحاها) وقد تقدم تقرير ذلك هنالك . وقوله تعالى (والجبال أرساها) أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم . الرءوف بخلقه الرحيم . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب

عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم : الحديد ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال نعم : الماء ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال نعم : الريح قال نعم : ابن آدم يتصدق يمينه يخفيها عن شماله » وقال أبو جعفر ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : لما خلق الله الأرض قمصت وقالت تخلفي علي آدم وذريته يلقون علي تنتهم ويسجلون علي بالخطايا ، فأرساها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لاترون وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نحر يختلج لحمه . غريب جدا . وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أي دحا الأرض فأنبع عيونها ، وأظهر مكنونها ، وأجرى أنهارها ، وأنبت زروعها وأشجارها وأثمارها ، وثبت جبالها لتستقر باهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعا لخلقها ولما يحتاجون اليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم اليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل

﴿ فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى * فَأَمَّا مَن طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى * يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرِهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا * كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾

يقول تعالى (فإذا جاءت الطامة الكبرى) وهو يوم القيامة قاله ابن عباس سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفزع كما قال تعالى (والساعة أدهى وأمر) (يوم يتذكر الإنسان ما سعى) أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكري) (وبرزت الجحيم لمن يرى) أي أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا (فأما من طغى) أي تمرد وعتا (وآثر الحياة الدنيا) أي قدمها على أمر دينه وأخراه (فان الجحيم هي المأوى) أي فان مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها ورددتها إلى طاعة مولاه (فان الجنة هي المأوى) أي منقلبه ومصيره ومرجه إلى الجنة الفيحاء ثم قال تعالى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها) أي ليس علمها اليك ولا إلى أحد من الخلق بل مردها ومرجها إلى الله عز وجل فهو الذي يعلم وقتها على التعيين (ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله) وقال ههنا (إلى ربك منتهاها) ولهذا لما سأله جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » وقوله تعالى (إنما أنت منذر من يخشاها) أي إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه فمن خشى الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأقبح وأنجح والحياة والحساب على من كذبك وخالفك وقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أي إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أوضحي من يوم ، قال جويرير عن الضحاك عن ابن عباس (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أما غشية فما بين الظهر إلى غروب الشمس (أوضحاها) ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار وقال قتادة : وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة . آخر تفسير سورة النازعات لله الحمد والمنة .